

خريستولوجيا القديس يوحنا¹

تي. اي. بولارد²

ترجمة عماد عاطف

هذا المقال يناقش موضوع "اللوغوس" في إنجيل يوحنا، وهل هو ناتج عن تأثير هيليني أم هو إمتداد للفكر العبراني

في مطلع هذا القرن كتب ف. سي. كونيبير *F.C.Conybeare* في تعليق على كتاب الفريد لويزي *Alfred Loisy* "الإنجيل الرابع" *Le quatrième évangile* قائلاً "لو لم يمتلك أثناسيوس الإنجيل الرابع ليستقي منه اقتباساته، لما أمكنه أبداً أن يدحض أريوس".³ في الواقع هذه العبارة هي جزء من الحقيقة، لأنه في الواقع إن لو لم يكن لدى أريوس الإنجيل الرابع ليقتبس منه، لما كانت هناك حاجة إلى أن يُدحض. بدون التقليل من أهمية أي من كتابات العهد الجديد الأخرى في تطور عقيدة الكنيسة⁴، فإن إنجيل يوحنا -و الرسالة الأولى ليوحنا- يركزان بشدة على المشاكل التي خلقت الخلافات العقائدية في الكنيسة الأولى و التي لاتزال بالحقيقة تُحير الكنيسة حتى اليوم.

لقد أظهرت الدراسات الحديثة أن التمييز الصارم بين الأناجيل الإزائية -[متى/مرقس/ لوقا] كتقارير تاريخية لحياة يسوع- و الإنجيل الرابع - كتفسير لاهوتي لإظهار أهمية شخص يسوع- هو أمرٌ مستحيلٌ. ويبدو أن هذا التمييز قد نشأ في وقتٍ مُبكر من القرن الثاني الميلادي، عندما كتب كليمنس السكندري قائلاً "لكن آخر الكل [هو] يوحنا، مُدركاً أن الحقائق الخارجية (τὰ σωματικά) قد [ذُكرت] بوضوح في الإنجيل، مُنتجاً الإنجيل الروحي (πνευματικόν)"⁵.

تم إحياء هذا التمييز -بين الأناجيل الإزائية وإنجيل يوحنا- من قِبَل باور *Baur* و مدرسة توبنجن في النصف الأول من القرن التاسع عشر⁶، و أصبح هذا الأمر بديهياً في الدراسات المتعلقة بالانجيل في القرن التاسع عشر. ففي كتابه البحث عن يسوع التاريخي *The Quest of the Historical Jesus*، نادراً ما يذكر أ. شفيتزر *A. Schweitzer* الإنجيل الرابع. و في عام 1904 قال ادولف فون هارناك *A. Von Harnack* "إن الإنجيل الرابع لا يمكن أن يُستخدم كمرجع تاريخي.... (انه) من الصعب أن يُؤخذ كمصدر تاريخي عن يسوع"⁷. في الواقع، يُؤخذ هذا التمييز المتطرف [بين الانجيل الإزائية و إنجيل يوحنا] كأمر مسلم به حتى الآن لما يسميه جي. ا. روبنسون *J.A.T. Robinson*

¹ هذا المقال هو الفصل الأول من كتاب Society for new testament studies, Monograph series 13: Johannine Christology & the Early church. by: T. E. Pollard, p.3-22 [المترجم]

² استاذ العهد الجديد، كلية نوكس، دانيند [المترجم]

³ HJ, VII (1903), 620

⁴ يقصد الكاتب بمصطلح "تطور عقيدة الكنيسة" هو تطرو الصياغات و المصطلحات و التعريفات المُتعلقة بإيمان الكنيسة و ليس تتطور الإيمان ذاته، فهناك فارق بينهم، فعلى سبيل المثال منذ نشأت الكنيسة، كان المسيحيون يؤمنون بالثالوث و يظهر إيمانهم في ممارستهم للمعمودية على اسم الأب و الابن و الروح القدس، و لكن تطورت المصطلحات بعد ذلك لكي تتضمن مصطلحات مثل "ثالوث" و "برسونا" و "هيبوستاسس"، و حتى في الصراع الأريوسي تم تبني مصطلح غير كتابي "من جوهر الأب" لكي يُدحض الفكر الأريوسي، فالإيمان سابق للصياغات و التحديدات العقائدية، و كما يقول الأب فاضل سيداروس "التقليد الحقيقي هو مزيج من الأمانة/الإبداع، من الأمانة المُبدعة و الإبداع الأمين". [المترجم]

⁵ مُقتبس من Eusebius, Hist. Eccl. VI, 14, 7.

⁶ A.Schweitzer, The Quest of the Historical Jesus, London, 1911, pp.139 f.

⁷ What is Christianity?, London, 1904, p. 13

"الارثودوكسية النقدية" *critical orthodoxy*⁸، و مازال هذا التمييز أمر أساسي مسلم به عند الباحثين الذين جاءوا بعد بولتمان والمشاركين في البحث الجديد عن يسوع التاريخي *the new quest of historical Jesus*⁹. وحديثاً أثبت كلاً من نقد الشكل¹⁰ *form criticism* و النقد التحريري¹¹ *redaction criticism* أن الاناجيل الإزائية هي ذاتها تفسير لاهوتي للأحداث الخاصة بالمسيح¹²؛ على الجانب الآخر -فعلى الأقل- نجد أن هناك تأكيد متزايد في الدراسات البريطانية على الجوانب التاريخية في انجيل يوحنا¹³، وعلى الرغم من ذلك فصغر الفجوة بين الاناجيل الإزائية و انجيل يوحنا يجب ألا يحجب حقيقة أن بالرغم من التقارب الذي يمكن أن يُقام بينهم، فالإختلافات اللافتة ستظل دائماً موجودة، ففي انجيل يوحنا نجد أن الفكر و التفسير اللاهوتي قد نُقل إلى عمق أكثر من الإزائية أو بالأحرى من أيّاً من كتابات العهد الجديد الأخرى.¹⁴

أظهر جون نوكس مؤخراً *John Knox*¹⁵ إننا نستطيع أن نرى ثلاث أشكال حريستولوجية متميزة داخل العهد الجديد، أحياناً يكونوا منعزلين، وفي الغالب نجدهم جنباً إلى جنب في كتابات المؤلف الواحد ذاته، وفي الواقع متشابكين بعضهم البعض، رغم أنهم في النهاية من الممكن أن يتعارضوا.

الشكل الأول، نجده في عظات بطرس في سفر الأعمال (22:2، 13:3 و 19، 31:4 و 38:5)، و في روايات معمودية يسوع في الإزائية (خصوصاً في القراءة الغربية للوقا 22:3)، و في رسالة بولس إلى أهل رومية (4:1). من الممكن أن يسمى هذا الشكل بحريستولوجية "التبني" *Adoptionism*، على الرغم من ذلك يجب التحذير من الإعتقاد بوجود حريستولوجيات التبني المتطورة للمونارخية الديناميكية¹⁶ *adoptionist christologies of the dynamic monarchianism*¹⁷ -والتي تُنسب لبولس الساموساطي¹⁸ *Paul of Samosata* - في تلك النصوص.

⁸ The New Look on the Fourth Gospel, SE, i (1959), 338-50, reprinted in Twelve New Testament Studies, London, 1962, pp. 94-106

⁹ Cf. R. E. Brown, 'After Bultmann, What?', CBQ, XXVI (1964), 1-30; especially pp. 28 ff.: "و السبب الثالث في هزلة نتائج "البحث الجديد عن يسوع" هو الفشل في أخذ الانجيل الرابع بجديّة. الباحثين ما بعد بولتمان يأخذون كمُسلمة أننا في انجيل يوحنا نجد "التعليم" Keygma [الذي] تم فرضه على يسوع حتى ان هناك القليل مما قاله و فعله يسوع من الممكن أن يؤخذ على أنه تاريخياً". Bornkamm (Jesus of Nazareth, London, 1960, p. 14) يقول [بورنكام] بوضوح أن "يوحنا يُعتبر إلى حدٍ ما نتاج انعكاس لاهوتي حتى إنه من الممكن أن يتم التعامل معه على أنه مصدر ثانوي"

¹⁰ نقد الشكل هو دراسة أشكال الكتابة الأدبية والوثائق التي تحفظ التقليد المبكر. وتقدّم افتراضاً أساسياً على أن الاستخدام المبكر والشفهي للتقليد صاغ المادة ونتج عنه تنويعاً من الأشكال الأدبية التي وجدت في التسجيل النهائي المكتوب. ولذا فإن دراسة هذه الأشكال يسلط الضوء على حياة وفكر الناس الذين حفظوا التقليد.

¹¹ طريقة نقدية لدراسة النصوص الكتابية. ينظر النقد الكتابي لمؤلف النص على أنه محرر نصوص مصادره. وهو فرع من فروع نقد الشكل لكنه لا يبحث في أقسام النص للتعرف على النمط الأصلي بل يركز بدلا عن ذلك على كيفية صياغة المحرر للرواية للتعبير عن أهدافه الدينية.

¹² E.g. R. H. Lightfoot, The Gospel Message of St Mark, Oxford, 1950; G. Bornkamm, G. Barth and H. J. Held, Tradition and Interpretation in St Matthew, London, 1963; H. Gonzelmann, The Theology of St Luke, London, 1960.

¹³ Cf. A. J. B. Higgins, The Historicity of the Fourth Gospel, London, 1960; T. W. Manson, Studies in the Gospels and Epistles, Manchester, 1962, Ch. 6; C. H. Dodd, Historical Tradition and the Fourth Gospel, Cambridge, 1963.

و في امريكا، قام رايموند براون بمساهمة قيمة لدراسة العناصر التاريخية في انجيل يوحنا، أنظر Raymond E. Brown; cf. his "The Problem of Historicity

In John', CBQ, XXIV (1962), 1-14 (= New Testament Essays, London, 1965, ch.9).

¹⁴ هذا الفارق قد تم التعامل معه بطريقة مميزة من قبل Franz Mussner في كتابه The historical Jesus in the gospel of St. John, London, 1967. يذكر الفارق قائلاً "إن المسيح الوارد في يوحنا يتحدث بشكل مختلف عن المسيح الوارد في الاناجيل الإزائية، فهو يتحدث بلغة يوحنا" ص 7.

¹⁵ The Humanity and Divinity of Christ, Cambridge, 1967. Cf. also R. E. Brown, 'How much did Jesus know?' CBQ, XXIX (1967), 26.

¹⁶ أنظر الكتاب [الأصلي] ص 51

¹⁷ يتحدث المؤلف في ص 51 من نوعين من المونارخية، النوع الأول: المونارخية الشكلية Modalistic Monarchianism و المونارخية الديناميكية Dynamic Monarchianism فيقول "لقد بدأ التحدي في شكل المونارخية الشكلية Modalistic Monarchianism، التي تحفظ وحدة الله و إلهية المسيح عن طريق انكار التمايز بين الأب و الابن، و تعتبر أن الثلاثة حقبات لتاريخ الخلاص Heilsgeschich ليست أكثر من ثلاث تجليات أو ظهورات متعاقبة لله الواحد، لقد أضطر كل من هيبوليتس و ترتليات في الغرب إلى أن يُعرفوا عن كُتب مفهوم التمايز في وحدانية الله. بعد ذلك أخذ التحدي شكل المونارخية الحيوية

النوع الثاني، نجدّه ملحوظاً بوضوح في رسائل بولس و الرسالة إلى العبرانيين، و هذا النوع من الخريستولوجيا ينسب للمسيح الوجود المسبق و يؤدي ذلك إلى رؤية "إحلامية" *Kenotic* لشخصه أثناء وجوده التاريخي [أي أثناء تجسده]، فالرؤية هنا التي تتعلق بالوجود الإلهي السابق الذي "أحلى ذاته" (فيلبي 2:7، *ἐκένωσεν*) ليصير إنساناً¹⁹.

النوع الثالث من الخريستولوجية التي يُشير إليها نوكس Knox تُسمى "التجسيدية" *Incarntionism* و التي تم التعبير عنها بوضوح في إنجيل يوحنا و الرسالة الأولى للقديس يوحنا، و هي الرؤية الخاصة بأن الله صار انساناً في يسوع، الذي كان في وجوده البشري التعبير الكامل عن الإلهية في/مع /أو تحت إنسانيته. يُشير نوكس Knox إلى أن الخريستولوجية "التجسيدية" *Incarntionism* دائماً في خطر أن تنزلق إلى "الدوسيتية" *Docetism* حيث يتم التركيز بشدة على الإلهية حتى تبخر الإنسانية إلى مجرد ظهور أو خيال. مع ذلك فكل من إنجيل يوحنا و رسالته الأولى²⁰ يُقاوم الدوسيتية و التي كانت مطروحة كرؤية خريستولوجية في الكنيسة/الكنايس التي كتب يوحنا إليها. آخذاً في الاعتبار أخطار الدوسيتية، كافح [يوحنا] ليحافظ على التوازن بين إلهية و إنسانية يسوع.

إن صيغة القديس يوحنا "التجسيدية" *Incarntionism* تُظهر المشكلة الخريستولوجية أكثر مما تُظهره صيغة "التبني" و "الإحلاء". من الممكن النقاش ما إذا كان من الضروري للكنيسة أن تتجاوز كلا الخيارين الأخيرين (التبني و الإحلاء) لصالح الرؤية العميقة للصيغة "التجسيدية"، ولكن الحقيقة ببساطة هي أن الكنيسة استطاعت أن تدخل إلى العمق الخريستولوجي في الكتابات اليوحناوية، و في ذلك وجدت نفسها مُجبرة، خلال القرون الأربعة القليلة القادمة، لتفسير المشكلة المزدوجة المطروحة من قِبَل خريستولوجية اليوحناوية و هي كالتالي:

1- العلاقة بين الابن-اللوعوس السابق الوجود، و اللاهوت.

2- و العلاقة بين الإلهية و الإنسانية في يسوع المسيح.

"فتعليم الكنيسة يجب أن يُطوّر عقيدة الثالث و الخريستولوجي جنباً إلى جنب إذا أراد أن يحافظ على البنية الإلهية التي للمسيح بالمعنى الحقيقي"²¹

أ- المقدمة و مفهوم اللوعوس²²

إن أهمية مفهوم اللوعوس و الذي يستخدمه القديس يوحنا في مقدمة إنجيله (1-18)، بالنسبة للصياغة الخريستولوجية اللاحقة بالكاد يُبالغ في تقديره، على الرغم من ذلك كما يقول ج. ل. بريستيج *G. L. Prestige*²³ "إن عقيدة اللوعوس، كما تظهر أهميتها للاهوت، تأتي

Dynamic Monarchianism التي سعت للحفاظ على وحدة الله و التمايز بين الأب و الابن عن طريق انكارها لإلهية الابن، مؤكدة على أن [الابن] كان رجلاً رُفِع لمكانة الإلهية بالتبني صائراً ابن الله" [المترجم]

¹⁸ أنظر الكتاب [الأصلي] ص113-114، يقول المؤلف " يُجادل باردى Bardy أن المعلومات المحدودة التي نعرفها تُظهر أن لاهوت بولس [الساموساطي] هو موناخي بشدة و الذي من الممكن أن تُلخصه في عبارتين "إله واحد يمتلك الحكمة أو المنطق (*σοφία* or *λόγος*)، و يسوع المسيح، هو بشر مثل الآخرين، الذي تعاملت معهم الحكمة الإلهية بوفرة"، على الجانب الآخر، يتبع ر.ف. سيلرز R.V.Sellers وجهة نظر لوفوف Loof، مستنتجاً أن لاهوت بولس [الساموساطي] لا هو يتبع الموناخية الحيوية *Dynamic Monarchianism* و لا "بسيلانثروبيزم [هو مدخل خريستولوجي يرى أن يسوع المسيح كان انساناً فقط]" *psilanthropism*، و لكنها نظرة مماثلة للنظرة الأريوسية *Arianism* التي واجهها مارخيلوس Marcellus. حتى لو كانت هذه النظرة صحيحة، فباردي Bardy لا يزال صحيحاً في تحليله بخصوص النقطتان الرئيسيتان في لاهوت بولس [الساموساطي] بخصوص وحدانية الله، و بشرية يسوع المسيح" [المترجم].

¹⁹ هناك اتفاق كبير أن هذه الفكرة هي سابقة لبولس، إخذة أكثر التعبيرات وضوحاً في الترنيمة، فيلبي 2:6-11، أنظر R. P. Martin, Carmen Christi, Cambridge, 1967، لأحدث الدراسات المستفيضة حول هذه الترنيمة.

²⁰ إن السؤال حول هوية مؤلف الإنجيل و الرسالة مايزال مفتوحاً. فإذا لم يكونا من نفس البِد، فيالتأكيد هم من نفس المدرسة.

²¹ A. Grillmeier, Christ in Christian Tradition, London, 1965, p. 93

²² إن كمية الكتابات حول المقدمة و مفهوم اللوعوس ضخم، لدراسة جيدة أنظر R. E. Brown, The Gospel according to St John, New York, 1966, 1, appendix n. Cf. also Arndt-Gingrich, Lexicon, λόγος

مخاطر مميته في حضنها". سوف تتضح ماهية هذه المخاطر في سياق دراستنا هذه، في هذه المرحلة يجب طرح هذه الإِسْئَلَة: هل للقديس يوحنا "عقيدة للوغوس"؟، ما هو مضمون "مفهوم اللوغوس" عنده؟، و لماذا اختار مصطلح اللوغوس كوسيلة لتقاسم إنجيله عن يسوع المسيح؟.

يُجمع المفسرون على التأكيد على أن مفهوم اللوغوس، أو بالأحرى المفاهيم المختلفة للوغوس كانت متداولة في العالم اليوناني-الروماني في القرن الأول الميلادي، و بذلك فهذا اللوغوس يُعتبر نقطة مناسبة للتلاقي، فيستطيع الإنجيلي من خلاله أن يستودع إنجيله. فإستخدامه للوغوس كان كنقطة للتلاقي بين استخدامه لهذا المصطلح في المقدمة فقط (بدون ان يستخدمه مره أخرى) وبين هدف إنجيله في كلماته الختامية حيث يقول أن الهدف من الإنجيل "لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، و لكي تكون لكم إذا آمنتم حياه باسمه" (20:31).²⁴

فالمفهوم الخريستولوجي المتكرر في إنجيل يوحنا ليس هو اللوغوس و لكنه المسيح، ابن الله، "فالدور الخلاصي التاريخي للابن المتجسد له قوة حيوية، بينما مفهوم اللوغوس بالكاد يصلح للتعبير، في الواقع ان المؤلف (يوحنا) أسقط مصطلح اللوغوس حتى قبل أن تنتهي المقدمة، ليوضح أن مفهوم اللوغوس لا يقدر أن يوضح بما فيه الكفايه ما أراد أن يقوله عن يسوع"²⁵.

إن إنتشار المفاهيم المختلفة للوغوس في العالم الهيليني في القرن الأول الميلادي، مع التفسيرات المختلفة التي أعطيت لهذا المفهوم من قِبَل الغنوسيين و الآباء الأوليين، تجعل من فحص معنى هذا المصطلح بالنسبة للقديس يوحنا أمراً هاماً، و الذي بقدر ما نعرف هو أول من قام بإستخدام هذا اللقب ليسوع المسيح. لقد تم الأستنتاج في الدراسات المتعلقة بيوحنا في القرن الماضي أن جذور مفهوم اللوغوس هو تلك التكهنات التي كانت سائدة في القرون الأولى للمسيحية بل و حتى القرون اللاحقة.²⁶

لرمن طويل كان الأفتراض السائد هو أن الإنجيل الرابع هو أكثر كتابات العهد الجديد "هيلينية"، وهو ذو إتصال قليل أو معدوم بفلسطين و التي دارت بها أحداث الإنجيل²⁷. لكن أخيراً، و نتيجةً لإكتشافات مخطوطات البحر الميت و تشابهها الملحوظ مع الإنجيل الرابع، حدث تركيز متزايد على البيئة الفلسطينية اليهودية التي يستند عليها الفكر و التقليد اليوحناوي²⁸. فإذا كان الفكر اليوحناوي له جذوره في التربة الفلسطينية

²³ God in Patristic Thought, London, 1952, p. 129

²⁴ من المُتفق عليه على العموم أن الفصل 21 هو خاتمة أضيفت من قبل المحرر الأخير للإنجيل، أنظر R. E. Brown, The Gospel according to St John, I, xxxvi

²⁵ F. V. Filson, 'The Gospel of Life', in Current Issues in New Testament Interpretation (ed. W. Klassen and G. F. Snyder), London, 1962, pp. 111 ff

²⁶ Cf. P. H. Menoud, L'evangile de Jean d'aprec recherches recentes, Neuchatel and Paris, 1947; W. F. Howard, The Fourth Gospel in Recent Criticism (4th edn. revised by G. K. Barrett), London, 1955.

²⁷ Another of 'the presuppositions of critical orthodoxy' which J. A. T. Robinson, 'The New Look on the Fourth Gospel', calls in question

²⁸ من غير الممكن أن نعطي قائمة مراجع كاملة عن هذه النقطة. المراجع التالية هي فقط عينة مُعبرة،

R. E. Brown, The Gospel according to St John, 1, lix ff.; 'The Qumran Scrolls and the Johannine Gospels and Epistles', CBQ, xvn (1955), 559 ff., reprinted in K. Stendahl (ed.), The Scrolls and the New Testament, New York, 1957, pp. 183 ff.; 'Second Thoughts: the Dead Sea Scrolls and the New Testament', ExpT, LXXVIII (1966-7), 21 ff.; K. G. Kuhn, 'Johannesevangelium und Qumrantexte', in Neotestamentica et Patristica (Supplement to NovT, vi), pp. 111 ff.; 'Die in Palastina gefundenen hebraischen Texte und das N.T.', £77f, XLVII (1950), 192 ff.; L. Mowry, 'The Dead Sea Scrolls and the Background for the Gospel of John', BA, xvn (1954), 78 ff.; W. H. Brownlee, 'A Comparison of the Covenanters of the D.S.S. with pre-Christian Jewish Sects', BA, xm (1950), 71 ff.; F. M. Braun, 4L'arriere-fond judaïque du quatrième evangile et la Communauté d'Alliance', RB, LXI (1955), 5ff; Jean le theologien, Paris, 1959, 1, 226 ff.; Millar Burrows, The Dead Sea Scrolls, London, 1955, pp. 338 ff.; More Light on the Dead Sea Scrolls, London, 1958, pp. 123 ff.; M. Black, 'Theological Conceptions in the Dead Sea Scrolls', SEA, XVII-XIX (1953-4), 8° ff.; W. Grossouw, 'The Dead Sea Scrolls and the New Testament: a Preliminary Survey', StC, xxvi (1951), 289 ff.; XXVII (1952), 1 ff.; W. F. Albright, 'Recent Discoveries in Palestine and the Gospel of John', in The Background of the N.T. and its Eschatology (ed. W. D. Davies and D. Daube), Cambridge, 1956, pp. 153 ff.

و يرتكز على التقليد الفلسطيني-اليهودي الذي نشأ قبل سقوط أورشاليم في 70م²⁹، فيكون إذًا من المعقول أن يكون المكان الأول الذي نبحث فيه عن مفهوم اللوغوس عند يوحنا هو نفس تلك البيئة (أي البيئة اليهودية-الفلسطينية).

هناك عدد كبير من الباحثين الذين أكدوا على جذور عقيدة (اللوغوس)، موجودة في العهد القديم و أن جذرها الرئيسي هو "كلمة يهوه" *d'bar Yahweh*، كلمة الله الخالقة و الكاشفة، و التي من خلالها خلقت السموات و الأرض و التي أوحى الأنبياء.³⁰ لقد ركز بيدرسن *Pedersen* على أن المفهوم العبراني "لكلمة" *dabhar* هو ديناميكي أكثر منه ثابت.³¹ تطور هذا الفهم عن طريق بومن *Boman*³²، ماكنيكول *Macnicol*³³ و نيت *Knight*³⁴ و آخرين. يقول ماكنيكول *Macnicol* أنه في الفكر العبراني "الكلمة الحقيقية هي كل من القول و الفعل"³⁵، فكلمة الله "هي الله ذاته في فعله"، فالكلمة الفعالة "هي قوية بالتناسب، فهذه الكلمة هي كلمة الله ذاته، التي ينطقها القادر على كل شيء، و لذلك فهي محده لتكامل الذي يشاءه"³⁶.

يشير جريلمير *Grillmeier*³⁷ و دود *Dodd*³⁸، بالإضافة إلى آخرين سبقوهم³⁹، بشكل صحيح أن بالإضافة إلى فكرة العهد القديم عن "كلمة يهوه"، فهناك مفهوم آخر للعهد القديم يرتبط ارتباطاً وثيقاً يجب يؤخذ بالأعتبار و هو مفهوم الحكمة (الصوفيا) (*σοφία*)، على الرغم من أن "الحكمة" لا يُقال أبداً أنها "كلمة يهوه".⁴⁰

"فحكمة" العهد القديم و "لوغوس" يوحنا لهما العديد من الملامح المشتركة. فكلاهما كائن في البدئ (الأمثال 22:8، الجامعة 24، يوحنا 1:1، قارن تكوين 1:1)⁴¹، و هما يسكنان مع الله (الجامعة 24، 4 السبعينية، أمثال 23:8-25، 30). العمل في العالم هو أمر مشترك بينهم، على الرغم من أن التركيز عليه في الأمثال و الجامعة هو أكثر منه في يوحنا 3:1، 10. و الحكمة و اللوغوس يأتيتان للبشر (الجامعة 24: 7-22 السبعينية، الأمثال 31:8) و "يقيما خيمتهما/ يسكنان" معهم (الجامعة 8:24 السبعينية - يوحنا 14:1). التشابه إذًا بين مقدمة يوحنا، أمثال 8 و جامعة 24 هو شديد للغاية، حتى إننا نستطيع أن نقول أن هناك اعتماد أدبي.⁴²

يقترح جريلمير *Grillmeier* أن القديس يوحنا قد تحاشى استخدام كلمة "الحكمة" بسبب أن نوعها في كل من اللغة اليونانية و العبرية (*σοφία*) مؤنث، و مثل ذلك قد يؤدي إلى تكهنات غنوسية، على الرغم من أن ليس هناك دليلاً على أنه بحلول أواخر القرن الأول

²⁹ Cf. J. A. T. Robinson, 'New Look'; R. D. Potter, 'Topography and Archaeology in the Fourth Gospel', SE, 1 (1959), 329 ff.; W. F. Albright, 'Recent Discoveries'; A. M. Hunter, 'Recent Trends in Johannine Studies', ExpT, LXXI (1959-60), 164 ff.; C. H. Dodd, Historical Tradition

³⁰ T. W. Manson, Studies in the Gospels and Epistles, p. 118; cf. E. Stauffer, New Testament Theology, London, 1955, pp. 55 ff.

³¹ J. Pedersen, Israel, its Life and Culture, 1-11, Oxford, 1926

³² Hebrew Thought compared with Greek, London, 1960, pp. 58

³³ Word and Deed in the N.T., SJT, v (1952), 237 f.

³⁴ A Biblical Approach to the Doctrine of the Trinity (SJT Occasional Paper 1), Edinburgh, 1953; From Moses to Paul, London, 1949.

³⁵ Word and Deed', p. 240.

³⁶ P. 247. Cf. Boman, p. 67. James Barr (The Semantics of Biblical Language, Oxford, 1961, pp. 129 ff)

ينتقد بيدرسن *Pedersen* و ماكنيكول *Macnicol* لمعالجتهم *dabhar*. هذا النقد لا يظهر أنه يتطبق على دراسة ماكنيكول *Macnicol* عن *d'bar yahweh*، التي تظهر أنها صالحة حتى لو كانت معالجة *dabhar* ذاتها مفتوحة للنقد.

³⁷ Christ in Christian Tradition, pp. 30

³⁸ The Interpretation of the Fourth Gospel, Cambridge, 1953, pp. 273 ff.

³⁹ E.g. J. Rendell Harris, The Origin of the Prologue to St John's Gospel, Cambridge, 1917. Cf. also P. Bonnard, La Sagesse en Personne, annoncee et venue: Jesus-Christ, Paris, 1966, pp. 123

⁴⁰ على الرغم من أن الجامعة 3:24، الحكمة تقول "من فم العلي أتيت"

⁴¹ Cf. Rashi's Commentary on the O.T. (ed. A. M. Silbermann, London, 1946) at Genesis i. 1

⁴² Grillmeier, pp. 30 f.

الميلادي (و هو أكثر التواريخ تأخراً لكتابة انجيل يوحنا) كانت مقترحات غنوسية أولية عن الذكر-الأنثى و التي سوف تصبح سمة بارزة للنظام الغنوسي المعقد الذي سوف يهاجمه ايرناؤس و هيبوليتس و ترتليان في القرن التالي.

هناك أيضاً بعض المحاولات لربط اللوغوس اليوحناوي بالمبدأ الرباني اليهودي: الميمرا memra (מִמְרָא)⁴³، و التي سوف تستخدم كتورية إجلالية لأسم الله. على الرغم من أنه لا يجب أن يُهمل هذا الاحتمال كنظير واضح في الفكر اليهودي، لكن قلة الأدلة في تلك اليهودية المعاصرة لانجيل يوحنا يجعل أي حجة متعلقة بإعتماد انجيل يوحنا علي هذا المبدأ هي حجة ضعيفة جداً.

الإشارة السابق ذكرها والمتعلقة بالتشابه الشديد بين المصطلحات و أشكال الفكر بين مخطوطات البحر الميت و الكتابات اليوحناوية، قادت هذه العديد من الباحثين كي يروا في اليهودية الآسينية "بيئة يهودية قديمة أصيلة"⁴⁴ و "مناخ ايدلوجي"⁴⁵ للفكر اليوحناوي. فهناك تشابه ملحوظ بين يوحنا 3:1 و *The Manual of Discipline* 11:6، و هي الفقرة التي نراها في مواضع أخرى في الدليل ذاته و في تراتيل الشكر *Hymns of Thanksgiving*⁴⁶: "فكل شئ يأتي ليمر بعلمه [الله]، فهو مؤسس كل شئ بتصميمه و بدونه لا يكون أي شئ"⁴⁷

يصرح براونلي *Brownlee* أن هذا "هو مدخل عقيدة اللوغوس"⁴⁸، ويشير كولمان *Cullmann* أن هنا "الفكر الإلهي يظهر كوسيط للخلق"⁴⁹، بينما يقول ريكي *Reicke* أن "ما يدعوه النص القمراي "علم" أو "فكر" الله هو في الواقع عقله المبدع أو بشكل أكثر نفس ما يدعوه الانجيل الرابع لوغوس (أي كلمة) الله.⁵⁰ التشابه شديد القرب ليكون غير مقصود، و من الجائز أن نقول كما يقول جريلميير *Grillmeier*⁵¹ عن "إعتماد أدبي" لمقدمة الانجيل على أمثال 8 و جامعة 24، يبدو أن هناك مبرر أكثر للحديث عن إعتماد أدبي ليوحنا 3:1 على هذه الترتيلة التي أصبحت الفقرة الختامية لنص *The Manual of Discipline*. بالإضافة إلى ذلك، فإذا كان -كما يقترح جريلميير *Greillmeier*⁵² - أن القديس يوحنا قد تفادى عن قصد مصطلح σοφία صوفيا (حكمة)، من المحتمل أيضاً أنه تفادى عمداً المصطلح اليوناني المساوي للكلمة العبرية: πνεύμα (معرفة) لأنها بالفعل كانت مُستخدمة في الدوائر الغنوسية. و من المؤكد أن مثل هذا

⁴³ Cf. Strack and Billerbeck, Kommentar zum N. T. aus Talmud und Midrasch, Munich, 1924, u, 302-33; C.K.Barrett, The Gospel according to St John, London, 1955, p. 128; R. E. Brown, The Gospel according to St John, 1, PP- 523 f.

⁴⁴ Grossouw, 'D.S.S. and N.T.', p. 289 (see p. 7, n. 4 above)

أنظر هامش رقم 25. [المترجم]

⁴⁵ O. Cullmann, 'The Significance of the Qumran Texts for Research into the Beginnings of Christianity', JBL, LXXIV (1955), 216, reprinted in K. Stendahl (ed.), The Scrolls and the N.T, p. 20

⁴⁶ Manual iii. 15; xi. 17 f.; Hymns i; x; xiv. 27.

⁴⁷ G. Vermes' translation in The Dead Sea Scrolls in English, London, 1962, p. 93.

يجب أن نُشير أن سياق هذه الفقرة ليس كوسمولوجياً لكنه أخلاقياً، أنظر مقالتي

It should be noted that the context of this passage and of all the echoes of it is not cosmological but ethical; cf. my article 'Cosmology and the Prologue of the Fourth Gospel', VC, xn (1958), 147-53.

⁴⁸ Comparison of the Covenanters of the Dead Sea Scrolls', pp. 71 ff. (p. 7, n. 4 above)

[المترجم]. أنظر هامش رقم 25

⁴⁹ Significance of the Qumran Texts', p. 216

⁵⁰ Traces of Gnosticism in the D.S.S.?', NTS, 1 (1954-5), 140.

⁵¹ Christ in Christian Tradition, pp. 30 f.; cf. p. 9, n. 6 above

أنظر هامش رقم 39. [المترجم]

التفادي هو مقصود فبينما استخدم القديس يوحنا فعل *ὑπόσκειν* (عرف) أكثر من أي كاتب آخر من كتاب العهد الجديد، فإنه لم يستخدم أبداً الأسم *ὑπόσις* (معرفة).

في أي فحص لخلفية و جذور مفهوم اللوغوس عند القديس يوحنا، يظهر أن التأثير المحتمل "لصياغات العهد الجديد و الأفكار التي تشكلت قبله"⁵³ لا يجب إغفاله. ففي باقي العهد الجديد و خصوصاً في أعمال الرسل و رسائل بولس، غالباً تحمل كلمة اللوغوس *λόγος* معنى "الرسالة"، على سبيل المثال: رسالة الانجيل (أعمال 8:25، 1 تسالونيكي 6:1، و أماكن أخرى)⁵⁴. و بالنسبة للقديس يوحنا، المضمون الرئيسي للرسالة هو يسوع المسيح نفسه، فهو ذاته هو الرسالة، الرسالة صارت جسداً. من المحتمل أن نرى المقدمة الموجودة في مطلع يوحنا و حتى الرسالة الأولى ليوحنا مرحلة وسيطة بين استخدام اللوغوس *λόγος* خارج الكتابات اليوحناوية، و التسميه اليوحناوية للمسيح نفسه على أنه اللوغوس، 1 يوحنا 1:1 *τοῦ λόγου τῆς ζωῆς* "كلمة الحياة" و الذي "شاهدناه، و لمسته أيدينا" (1:1)، لقد "أظهرت" و "رأيناه" (2:1)، في 5:1 هذه الكلمة اللوغوس *λόγος τῆς ζωῆς* هي متساوية مع *ἡ ἀγγελία* (الرسالة).

و لا واحد من هذه المفاهيم -الكلمة، الحكمة و المعرفة- في استخدامها السابق للاستخدام اليوحناوي كانت مؤقمنة *hypostasised* أو مشخصنة *personalized* على الرغم من أن في الأدب الحكمي، تُشخص الحكمة في الغالب (أمثال 8، الجامعة 24)، كما أيضاً هو اللوغوس في حكمة سليمان (15:18)⁵⁵. يحاول س. ه. دود *C. H. Dodd* أن "يفسر كل عقيدة مقدمة انجيل يوحنا"⁵⁶، مُجادلاً أنه من الهام أن ننظر وراء مفاهيم "كلمة يهوه" و "الحكمة" إلى مفهوم "اللوغوس" الموجود في الفلسفة اليهودية التوفيقية لفيلو السكندري. و يستنتج أن "جوهر عقيدة اللوغوس الموجودة طوال الانجيل تتشابه مع تلك التي لفيلو ومع ذلك التصور العبراني لكلمة الله"⁵⁷. قليلاً من المفسرين على استعداد الآن أن يتبعوا تشديد دود *Dodd* على الخلفية الفيلونية (اي التي ترجع لفيلو) لإنجيل يوحنا، بينما يرى الغالبية أن محاولة تفسير عقيدة القديس يوحنا فيما يتعلق باللوغوس بمصطلحات خارج الاستخدام اليوحناوي يتضمن على الأقل أن الانجيلي يفتقر لأي أصالة. فالقديس يوحنا يجب أن يُدرك على أنه "مفكر فريد *sui generis*، فهو يقف فريداً و وحيداً ليس فقط في العالم القديم، لكن أيضاً في الكنيسة المبكرة"⁵⁸. فهو "شخص له أصالته"⁵⁹. فلا يوجد شخص مُطلع على كتابات فيلو يفشل في أن يلاحظ التشابه مع مقدمة انجيل يوحنا، لكن هذه التشابهات يُمكن أن يُفسر على أنه ناتج عن الاعتماد المشترك بين فيلو و انجيل يوحنا على العهد القديم. "ففيما يتعلق بمفهوم اللوغوس، كلاهما يعتمد على الأدب الحكمي للعهد القديم"⁶⁰.

⁵³ أنظر ص 31 [السابق]، يستشهد وصف بولس للمسيح على أنه "حكمة الله" (1 كورنثوس 1:24)، طصورة الله الغير منظور، بكر كل خليفة" (كولوسي 15:1).

⁵⁴ Cf. Brown, Gospel according to St John, 1, appendix II

⁵⁵ Cf. R. E. Murphy, 'Assumptions and Problems in O.T. Wisdom Research', CBQ xxix (1967), 109 ff.

⁵⁶ Interpretation of the Fourth Gospel, p. 273.

⁵⁷ السابق ص 279، لنقد مُفصل حول حجة دود *Dodd* أنظر مقالتي 'The Background of the Fourth Gospel and its Early Interpretation', ABR, VII (1959), 41 ff لقد كنت ناقد بشده لإصرار دود على إعتقاد يوحنا على مفهوم الحكمة. فإستخدام دود لمفهوم اللوغوس الخاص بفيلو ليوضح الانجيل يتشابه مع of the Philonic Logos-concept to illuminate the Gospel is paralleled by H. A. Wolfson, The Philosophy of the Church Fathers, 2nd ed., Harvard, 1964, 1, 177 ff

⁵⁸ Stauffer, N.T. Theology, p. 42.

⁵⁹ R. Bultmann, Theology of the N.T., London, 1955, II, 9

⁶⁰ Brown, Commentary, p. lviii; cf. R. McL. Wilson, 'Philo and the Fourth Gospel', ExpT, LXV (1953-4), 47 ff- F. M. Braun {Jean le theologien, 11, 298):

"إذا لم يكن فيلو موجوداً أبداً، من المرجح جداً أن الانجيل الرابع ما كان ليختلف عما هو عليه"

Gf. also A. H. Armstrong and R. A. Markus, Christian Faith and Greek Philosophy, London, 1960, pp. 19 ff

فإستخدام يوحنا لمفهوم اللوغوس في المقدمة له نقط تلاقي بينه و بين العديد من أشكال الأفكار المعاصرة له، و لكن من الواضح أنه "لا يحاول أن يجعل نفسه في تماشي مع العالم المحيط، لكنه يجعل العالم المحيط يفهم شخص يسوع ذاته عن طريق حديثه للعالم بلغته التي يفهمها."⁶¹ فأياً كان معنى اللوغوس بالنسبة ليوحنا فهو يستخدمه فقط لكي يؤسس تلاقي بينه و بين قرائه. فحالما يربط بين اللوغوس الذي صار جسداً مع "الابن الوحيد" في (14:1)، يطرح جانباً بعد ذلك "اللوغوس" و لا يستخدمه مره أخرى أبداً. و هي الحقيقة -التي في حد ذاتها- يجب أن تكون كافية لتجنب البحث في مقدمة انجيل يوحنا عن عقيدة متطورة للوغوس و التي تعكس الأشكال المختلفة للأفكار المتعلقة باللوغوس في عصره. فإذا كان هؤلاء الباحثين الذين يركزون على حقيقة يهودية الانجيل و الخاصة الفلسطينية-اليهودية للتقليد اليوحناوي على صواب، يتضح أنه من غير الضروري و غير الحكيم أن ننظر خلف فلسطين اليهودية لكي نجد الخلفية للوغوس و الذي يلعب دوراً محدوداً في نص إنجيل يوحنا.

على الرغم أن المقدمة من الممكن أن تقف وحدها⁶²، فمن الجلي أن القديس يوحنا مهتم بيسوع المسيح، ابن الله أكثر بكثير من اللوغوس، و أنه أراد أن تُفسر مقدمة انجيله في ضوء بقية الانجيل. أو، لنطرحها بطريقة أكثر تحديداً، لقد أراد أن يُفسر اللوغوس الخاص بمقدمة إنجيله على ضوء يسوع المسيح، ابن الله، الذي كانت خدمته الأرضية هي الموضوع الرئيسي للانجيل. فموضوع الانجيل هو يسوع المسيح، وليس مبدأ اللوغوس. لذا، فعلى الرغم أننا أكدنا على الخلفية الفلسطينية-اليهودية للفكر اليوحناوي ينطبق على مفهوم اللوغوس بقدر ما ينطبق على بقية الانجيل، فالسؤال حول معنى المفهوم المتعلق باللوغوس للقديس يوحنا هو في النهاية ذو أهمية ثانوية، و من الممكن التأكيد على أنه في الواقع لم يكن لدى القديس يوحنا أي عقيدة متعلقة باللوغوس.⁶³

إنه أمر بالغ الصعوبة، إن لم يكن مستحيلاً، أن نقرر في أية نقطة تحديداً في المقدمة، بدأ القديس يوحنا التفكير في اللوغوس المتجسد يسوع المسيح، أي في أية نقطة انتقل يوحنا من اللوغوس الموجود مسبقاً إلى يسوع التاريخي؟. يرى سيرافن دي اوسيجو *Serafin de Ausejo*⁶⁴ أنه طوال المقدمة، فاللوغوس يعني "الكلمة-صار-جسداً"، و أن كل الترنيمة تُشير ليسوع المسيح. على الرغم من ذلك، ففي ضوء تركيز القديس يوحنا على أن يسوع هو ابن الله، يجب أن يُتفق على أن من البداية، يضع يوحنا يسوع المسيح في الاعتبار. والمقدمة، و التي من الممكن أن تُقرأ كفلسفة هيلينية، أو كميستيقية رابينية، من الممكن أيضاً أن تُقرأ كتاريخ... فاللوغوس موجود، لكنه غير معروف، و غامض بعيداً عن شخص يسوع التاريخي.⁶⁵ فالمنظور اليوحناوي -الذي يعتبر مفهوم اللوغوس أقل أهمية من مفهوم الابن- لم يُفهم من قبل بعض الكتاب المسيحيين الأوائل أو الغنوسيين، الذين ضخموا مفهوم اللوغوس ليصير المفهوم الرئيسي لتفكيرهم الديني. البعض ملأ المفهوم بمحتوى التفكير اليوناني الفلسفي السائد (الرواقية والأفلاطونية المحدثة)، البعض ملأها بمحتوى من النظام التوفيقى لفيلو، بينما البعض فسره بمصطلحات اللاهوت اليهودي للكلمة و الحكمة. و بذلك، آخذين عقيدة متطورة تتعلق باللوغوس، قدم كل واحد من هؤلاء الكتاب كل

⁶¹ H. Odeberg, 'Ueber das Johannevangelium', ZST, 1939, quoted by P. H. Menoud, Uevangile de Jean d'apres recherches recentes, p. 46

⁶² من المثير للاعجاب أن مجموعة من الباحثين قد جادلوا أن خلف المقدمة يكمن ترنيمة كُونت في الدوائر اليوحناوية أو كُرسيت من قبلهم، ادمجت لتشكّل مقدمة انجيل يوحنا.

Gospel. R. E. Brown, Gospel according to St John, pp. 18 f.

يعدد [رايموند براون] تحليل ثمان باحثين، و يضيف محاولته في إعادة التكوين، أن الترنيمة قد كونت الأساس للمقدمة لا نشم في ذلك، ما يهنا هنا هو أن المقدمة تقف في سياق الانجيل.

⁶³ W. F. Lofthouse, The Father and the Son: A Study in Johannine Thought, London, 1934, p. 64.

⁶⁴ Esun himno a Cristo el prologo de San Juan', Estudios Biblicos, xv (1956), 223-77, 381-427. Cf. R. E. Brown, St John, p. 25.

⁶⁵ C. K. Barrett, The Gospel according to St John, p. 129.

حسب خلفيته، يُفسر بقية الانجيل في ضوء تفسيره الخاص لمقدمة يوحنا. هكذا، بُنيت رؤى خريستولوجية رائجة على أساس إساءة فهم غرض يوحنا الأساسي.

توفر المقدمة مُلخص للانجيل، أو بالاحرى فاتحة و التي فيها تم تعيين المناخ الذي مهد لدراما الانجيل، و لفكرة الانجيل الرئيسية أن تُعلن. فاللوقوس أظهر أنه موجود مُسبقاً قبل الوجود "مع" أو "في علاقة مع" الله، $\theta\epsilon\acute{o}\varsigma$ $\pi\rho\acute{o}\varsigma$ $\tau\acute{o}\nu$ $\theta\epsilon\acute{o}\nu$ ، و أنه هو ذاته "الله" $\theta\epsilon\acute{o}\varsigma$ $\eta\nu$ δ $\lambda\acute{o}\gamma\omicron\varsigma$.⁶⁶ $\theta\epsilon\acute{o}\varsigma$ $\mu\omicron\nu\omicron\gamma\epsilon\nu\eta\varsigma$ فهو كان/ و هو الوسيط لكل أعمال الله بشكل كامل *ad extra*. و يمكن إضافة حجة قوية لدعم فكرة أن يوحنا 3:1 $\mu\omicron\nu\omicron\gamma\epsilon\nu\eta\varsigma$ $\pi\acute{\alpha}\nu\tau\alpha$ $\delta\iota'$ $\alpha\upsilon\tau\omicron\upsilon$ $\epsilon\gamma\epsilon\nu\epsilon\tau\omicron$ ، كل شيء به كان" لها حقل واسع من الإشارات أكثر من الإشارة التقليدية المتعلقة بالخلق، فهي تُشير لكل عمل الله بشكل نهائي *ad extra*، في الخلق، الإعلان و الخلاص، في إعلان عن الفكرة الرئيسية لوساطة اللوقوس-الابن، و التي سوف تُحدد لاحقاً في المقدمة على أنه الواسطة:

1- في الخلق (10:1)

2- في الإعلان: اللوقوس "هو النور"، طالنور الحقيقي" (4:1، 5، 9)، "مملوء نعمة و حق (14:1)، "النعمة و الحق" صاراً من خلاله" (جملة يوناني)، فهو "الله الوحيد الذي في حضن الآب قد أخبر" (18:1)

3- في الخلاص: لكل من قبلوه و آمنوا باسمه، "أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أطفال الله (12:1-13)، و من ملئه يأخذ المؤمنون "نعمة فوق نعمة" (16:1).⁶⁷

لذا فالمقدمة تُعلن أوجه الواسطة الثلاثة للوقوس. فالوساطة في الخلق لا تُذكر ضمن باقي الانجيل، و الذي يتعلق بإعلان الله و فداء لبشر من خلال يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، من خلال حياته و كلماته، موته و قيامته.

بالإضافة إلى ذلك، فالمقدمة تُعلن بوضوح أننتان من المفارقات الصارخة للإيمان المسيحي: (1) المفارقة الثالوثية للعلاقة بين الآب و الابن، متمايزان مع ذلك واحداً في وحدة الإلهية، مفارقة التمايز-في-الوحدانية، و (2) مفارقة إنسانية و إلهية يسوع المسيح، الكلمة-الذي-صار-جسداً. كلاً من هذه المفارقات، مُعلن عنها في المقدمة، أصبح أوضح في هيكل الانجيل نفسه.⁶⁸

ب- علاقة الابن بالآب

إن انجيل يوحنا هو على وجه الخصوص انجيل "الآب و الابن"⁶⁹. بقولنا هذا لا ننكر أن أبوه الله و البنوه الإلهية ليسوع تشغل مكانه هامه في رسائل بولس و الأنجيل الإزائية. على سبيل المثال القول الشهير الموجود بالمصدر Q في متى 27:11 (و ما يوازيه لوقا 22:10) و استخدام يسوع لكلمة "آبا" *Abba* في مخاطبته لله⁷⁰ تُظهر أن "الوعي الخاص ببنوة المسيح الإلهية يكمن في أعماق طبقات التقليد السينوبتي

⁶⁶ إن اكتشاف قراءة [كلمة يوناني] في مخطوطة بودمر Bodmer papyri، P⁶⁶ و P⁷⁵ جعل الأصالة للقراءة الأصعب شبه مؤكد
⁶⁷ لقد ناقشت يوحنا 3:1 و علاقتها بالمقدمة بالتفصيل في [مقالة] -147، VC، xii (1958)، *Cosmology and the Prologue of the Fourth Gospel*

53 و حجتني قد أخذت و طُورت من قبل بول لامارشى Paul Lamarche [في مقالته] 'Le prologue de Jean', RSR, LII (1964), 497 ff. و الذي يقوي حجتني بأدلة أقوى من السبعينية و انجيل الحقيقة [المنحول] 24-22:37
⁶⁸ من الممكن أن يُثار اعتراض حول تعبير [مفارقة]، و هي الكلمة التي صارت مشتبه فيها في اللاهوت النظامي. فالكلمة الموجودة بالعهد الجديد [كلمة يوناني] "سر" قد تكون المفضلة، لكن أي محاولة للتصريح ب"سر" شخص المسيح، تظهر بالنسبة لي أنها تحتاج استخدام لغة "المفارقة"، و من ثم فكلمة "مفارقة" يصعب أن تتفادى.

⁶⁹ هذا هو عنوان الدراسة الممتازة حول اللاهوت اليوحناوي و التي نادراً ما تُلاحظ لو. ف. لوفتهوز W. F. Lofthouse، أنظر ص 13، هامش 2 السابق.
⁷⁰ أنظر T. W. Manson, *the Teaching of Jesus*, 2nd edn. Cambridge, 1935, PP. 330; J. Jeremias, *the Central Message of the New Testament*, London, 1965 PP. 9 ff.

[الإيزائي] كما هو أيضاً في يوحنا⁷¹. على الرغم من ذلك، فالبنوة الإلهية ليسوع أو بالآحرى العلاقة الإلهية بين الآب و الابن، تم التأكيد عليها بقوة من قبل القديس يوحنا أكثر من أي كاتب من كتاب العهد الجديد. بالنسبة ليوحنا، فبنوه يسوع هي "فريدة" (μονογενής)⁷²، وهو يؤكد بشكلٍ ملائم أن "الكلمة كان الله" (1:1ج)، و أن "الكلمة صار جسداً" (14:1)، و أن هذا اللوغوس المتجسد هو يسوع المسيح (17،16:1) و هو "ابن الله الوحيد" (14:1، 18، 16:3، 18، أنظر 1 يوحنا 9:4). لاحقاً في الانجيل لا يُنكر يسوع أو يُفند التهمة التي تدعي أنه بكونه ابناً لله تعني أنه جعل نفسه إلهاً، ποιείς σεαυτὸν θεόν، طوال الانجيل يُلقب يسوع وحده أنه "الابن" (ὁ υἱός)، هؤلاء الذين يرحبون به و يؤمنون بأسمه يصيرون "أطفالاً" (τὰ τέκνα) لله (12:1). فهو يدعي أنه و الآب واحد (30:5)، و أنه في الآب و الآب فيه (10:14، 38:10)، و أن من يراه فهو يرى الآب (9:14). وذروة الانجيل هي بعد القيامة، و للمرة الأولى واحداً من تلاميذه يعترف صراحةً بالوهية يسوع، فيعلن توما "ربي و إلهي" (28:20)⁷³.

فالوجود المسبق للوجوس مع الله "في البدء" مُعلن عنه بشكلٍ قاطع في افتتاحية كلمات الانجيل (1:1-2). و الوجود المسبق ليسوع المسيح، ابن الله، هو مؤكّد عليه صراحةً في الانجيل ذاته (15:1، 30، 58:8، 5:17، 24)، و هي أيضاً ضمناً في مواقع عديدة أخرى في عبارة "آتى" (43:5، 14:6، 28:7، 39:9، 10:10، 27:11، 46:12، 22:15، 37:18)، "آتياً من الله" (46:6، 29:7، 33:9، 27:16، 28، 8:17)، "قد أُرسِل" (17:3، 34، 34، 23:5، 24، 30، 36، 37، 29:6، 38، 39، 40، 44، 57، 16:7، 18، 29، 16:8، 18، 26، 29، 42، 4، 9، 36:10، 42:11، 44:12، 45، 49، 20:13، 24:14، 21:15، 5:16، 3:17، 8، 18، 21، 23، 25، 21:20).

يتحدث س. ك. باريت *C.K.Barrett* عن أن بنوه يسوع لها مغزى أنطولوجي و أخلاقي بالنسبة للقديس يوحنا.⁷⁴ إنه أمر مختلف عليه عما إذا كان القديس يوحنا قد أعطى أى فكرة حول أن طبيعة البنوة الإلهية هي أنطولوجية، على الرغم أنه من المؤكّد أن بالنسبة لقارئ انجيل يوحنا الذي تغذى بالفلسفة الهيلينية فعبارات الإنجيل المتعلقة ببنوة المسيح تثير أسئلة أنطولوجية. و بالنسبة للعقلية التي تغذت بالتفكير العبراني فطبيعة بنوة المسيح الأخلاقية هي أول إهتماماتها، فالابن الحقيقي هو الذي ينتج أفكار و أفعال والده.⁷⁵ هذه الفكرة بالتأكيد تتلاقى مع التركيز في تعليم القديس يوحنا حول علاقة الآب و الابن. يسوع يقول "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن و يريه جميع ما هو يعمل" (يوحنا 19f:5)، يقول يسوع أنه لا يُنتج فقط أفكار و أفعال الآب و لكن هو من طبيعته أيضاً "لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" (19:8)، "الذي رأي فقد رأى الآب" (9:14). لذا فالقديس يوحنا يتضح أنه يرى شيئاً أكثر من الشبه الأخلاقي، "فيوحنا يبرز معنى البنوة أكثر من الأناجيل الإيزائية، فكل من الشبه الأخلاقي و الوحدة الجوهرية متضمنان."⁷⁶

⁷¹ Jerusalem Bible comment on Matt. xi. 27.

⁷² Cf. D. Moody, ' "God's Only Son": the Translation of John iii. 16 in the R.S.V.', JBL, LXXII (1953), 213 ff.; R. E. Brown, St John, pp. 13f.; G. H. Turner, '6 uios nou 6 dyocirriTos', JTS, xxvn (1926), 113 ff.

⁷³ من المشوق أن نُشير تتابع "الاعترافات" المتعلقة بيسوع في الأناجيل: "حمل الله" (29:1، 36)، "المسيح" (41:1)، "ابن الله، ملك اسرائيل" (49:1) عندما يُراد أن تفهم "ابن الله" بنصطلحات ملكية مسيانية، "المعلم الذي أرسله الله" (2:3)، "النبى" (معرفة/ نكرة) (19:4) النبي الذي كان ينتظره السامريين؟، "قدروس الله" (69:6)، "النبي" (40:7 مثل موسى؟)، "ابن الانسان" (38:9)، "ملك اليهود" (19:24)، "ربي و إلهي" (28:20).

⁷⁴ The Gospel according to St John, p. 60

⁷⁵ Cf. E. Hoskyns, The Fourth Gospel, London, 1956, on John v. 19-2

⁷⁶ G. K. Barrett, The Gospel according to St John, p.60

وبالرغم من أن يوحنا يؤكد على الوحدة "الجوهرية"⁷⁷ للابن مع الآب، فلا يوجد وقت يغفل فيه القديس يوحنا التمايز بينهم (بين الآب و الابن). فالابن أرسل من الآب، و هو يطيع وصايا أبيه (10:15)، و لا يستطيع أن يفعل من نفسه شيئاً (5:19-20)، و كلماته التي يقولها ليست كلماته الشخصية و لكنها لأبيه (10:14، 24، 8:17)، و أفعاله التي يقوم بها هي أفعال أبيه (10:14). يشدد القديس يوحنا مراراً و تكراراً اعتماد الابن الكامل على الآب⁷⁸، إنه يُسجل قول يسوع "أبي أعظم مني" (28:14). لذا فيوحنا لا يُسمح أبداً للوحدة الجوهرية أن تمحي التمايز بين الآب و الابن. "تفكير يوحنا به مفارقات، فهو -على الأرجح- مثله مثلما يجب أن تكون كل الأفكار الخريستولوجية."⁷⁹ إن النقطة المحورية لإنجيله هي علاقة الابن بالآب، الأبدية و الوجود المسبق، و مع ذلك هي متجلية لعيون الإيمان في الوجود الأرضي للابن في شخص يسوع المسيح، و هي العلاقة التي نستطيع فقط أن نصورها في مصطلحات "الإتحاد" *unity* أو "الوحدة" *oneness* (30:10)، على الرغم من ذلك فهي تسمح بالتمايز في داخلها. و هذا هو أول مفارقة في يوحنا -التمايز- في-الوحدة- المعبر عنه في منتصف الانجيل في تعبير وجيز لكنه مذهل: "أنا و الآب واحد" (30:10)، و هو التعبير الذي يلعب دوراً حيوياً في النزاعات الثالوثية بداية من القرن الثالث الميلادي فصاعداً.⁸⁰ لذا فالقديس يوحنا يُظهر بطريقة أكثر وضوحاً و أكثر صراحةً -من أي من كتاب العهد الجديد الآخرين- إلهية يسوع المسيح بما انه الابن الأزلي لله و في نفس الوقت يُعبر عن التمايز بين الابن و الآب.

ت- إلهية و إنسانية المسيح

على الرغم من التركيز على إلهية ابن الله، فإنجيل القديس يوحنا هو "تاريخ"⁸¹، و الذي يروي وجود يسوع المسيح في التاريخ، كلمة الله الذي صار جسداً، الله الذي صار إنساناً. بالتركيز الشديد على "مجد" ابن الله، فالابن هو بالحقيقة "رجل حقيقي ... يرى (يوحنا) أنه يمتلك سيكولوجيا بشرية (33:11، 27:12، 27:13). فمفهوم اللوغوس لم يمح الصورة الحقيقية لإنسانية المسيح. فحقيقة حياته الأرضية تظهر بجلاء شديد."⁸²

المهرطقات الخريستولوجية المبكرة التي نجد لها أدله هي الدوسيتية⁸³، و التي ركزت على إلهية يسوع وقلصت من إنسانيته إلى مجرد ظهورات أو خيالات.⁸⁴ حتى أنه من الواضح أن القديس يوحنا وضع هذه الخريستولوجية الدوسيتية في اعتباره أثناء كتابته كل من الانجيل و الرسالة الأولى، يكتب يوحنا "الكلمة صار جسداً و حل بيننا" (14:1)، و خضع لنفس الآلام و القيود كالبشر. فكل تركيزه على إلهية المسيح، و المسيح بالنسبة له هو إنسان (30:1، 29:4، 40:8، 11:9، 16، 33:10)، لقد آمن أنه صار إنساناً "أتياً في الجسد"، وهي الفكرة الرئيسية في الإيمان المسيحي (1 يوحنا 2:22-23). ورسالة يوحنا هي مُوجهة للعبرانيين، يقول م. بارت *M. Barth* "لا يوجد كتاب آخر في العهد

⁷⁷ إن استخدام مثل هذا المصطلح من مراحل متأخرة للتطور الخريستولوجي يجب ألا يُسمح له أنه يحمل أي آثار لمعناها المتأخر. على الرغم أنه من الصعب أن نتقأدى الحديث بمصطلحات مثل "جوهر"، "جوهرية"، "اونطولوجي" ... إلخ، يجب الانحول يوحنا إلى أب من آباء القرن الرابع.

⁷⁸ Cf. J. E. Davey, *The Jesus of St John*, London, 1958, pp. 90-151

"لا يوجد أي عنصر مميز في الانجيل الرابع أكثر من العرض المتسق و الكوني للمسيح، في حياته و أعماله و أقواله و في كل نواحي أفعاله، على أنها تعتمد على الآب في كل نقطة (صفحة 90).

⁷⁹ Barrett, *The Gospel according to St John*, p. 77

⁸⁰ Cf. my article, 'The Exegesis of John x. 30 in the Early Trinitarian Controversies', NTS, in (1956-7), 334-49

⁸¹ يُلقب ر. ه. لايتفوت R. H. Lightfoot هذا الانجيل "تاريخ ابن الله: (الذي فيه) من يتحدث و يعمل على الأرض هو مازال دائماً بجانب أبيه" (History and Interpretation in the Gospels, London, 1935, p. 224).

⁸² Grillmeier, p. 34. Cf. E. K. Lee, *The Religious Thought of St John*, London, 1950, p. 135:

"هذا هو حجر الزاوية الذي يعتمد عليه كل البنية الفكرية البوحنوية. فيسوع التاريخي المنظور هو المكان في التاريخ حيث يظهر مجد الله"⁸³ "ليس من الصدفة أن تكون الدوسيتية هي الهرطقة الأولى للمسيحية المبكرة، و هي الوحيدة التي يُرى بوضوح أنها قد هُجمت من قبل العهد الجديد"

(O. Gullmann, *Salvation in History*, London, 1967, p. 91).

⁸⁴ "أنظر كلمات جيروم الظريف "فبينما كان الرسل باقين على الأرض، و بينما كان دم المسيح يدخن في تربه اليهودية، أكد البعض أن جسد الرب كان شبحاً" (quoted by E. K. Lee, p. 135).

الجديد (باستثناء الإنجيل الرابع) يضع الإلهوية الحقيقية و الإنسانية الحقيقية ليسوع المسيح جنباً إلى جنب.⁸⁵ فهو اللوغوس-الابن الذي ينتمي بوضوح لدائرة الإلهوية (كان الكلمة... كان الله" يوحنا 1:1 ج)، كما أنه ينتمي أيضاً وبالتساوي إلى دائرة البشر. هذا الأقتران بين الإلهي و البشري، اللوغوس و الجسد، الله و الانسان، لم تُعرف أو تحدد في أي مكان قبل القديس يوحنا، إنها ببساطة جزء من شهادته أن يسوع هو الله-الإنسان الذي من خلال الإيمان به يكون للبشر الحياة الإلهية. فتحليل و تفسير هذا الأقتران قامت به الكنيسة، و هي المفارقة اليوحناوية الثانية و التي صارت مركز النزاع حتى مجمع خلقيدونية (451م) و ما بعد ذلك.

ث- الوسيط

إذا كان المفهوم الرئيسي للإنجيل الرابع هو علاقة الآب والابن، فالفكرة المكررة هي أن يسوع المسيح بإعتباره ابناً لله هو الوسيط الواحد و الوحيد بين الله و الانسان، و هي الفكرة التي طورها القديس يوحنا- كما رأينا قبل ذلك- طوال ثلاث خطوط متميزة و مع ذلك متكامله.⁸⁶

1- فيوحنا يضع أعمال الله في المسيح في أوسع إطار ممكن، فيما أنه اللوغوس، فالمسيح هو وسيط أعمال الله في الخلق. هذه الفكرة بالطبع ليست بمجديدة أو فريدة للقديس يوحنا. فالقديس بولس يصف المسيح على أنه "بكر كل خليقة. فإنه فيه خُلق الكل: ما في السماوات و ما في الأرض. ما يُرى و ما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم سلاطين. الكل به و له (δὲ αὐτοῦ) قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء، و فيه يقوم الكل" (كولوسي 1:15-17). و كاتب العبرانيين يقول أيضاً أن الله "كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي به أيضاً عمل العالمين" (عبرانيين 2:1). فعمل الخلق لا ينتمي ببساطة للوغوس-الابن، بل عمل الله "به" (δὲ αὐτοῦ) (يوحنا 3:1). فهو الوسيط، ليس فقط وسيط يقوم بالعمل مع الله، لكنه مرتفع على جميع المادة و لا يستطيع أن يقوم بعمل بمفرده. فالتركيز على الوساطة يتعارض مع أي مفهوم للديمورج (أي الوسيط الخالق) *demiurge* أو كائن ذو مكانه وسيطة *intermediary*، و هو ما يميز مفهوم اللوغوس عند القديس يوحنا عنه عند فيلو أو من أي فلسفة يونانية. على الرغم من ذلك فيوحنا يتضح أنه أقل إهتماماً بالكوزمولوجي (وجود وخلق الكون) عن بولس⁸⁷. فبخلاف اشارة واحدة أو على الأرجح إشارتان للخلق في المقدمة (الإشارة الأولى هي [10:1] و احتمالية الإشارة الثانية [3:1]) فلا يوجد أي إشارة إلى الوساطة في الخلق في الإنجيل ذاته "فيوحنا غير مهتم بالكوزمولوجي (الخلق)، فهو لا يفكر في الخلق لكن في الفداء *redemption*"⁸⁸.

2- بالنسبة للقديس يوحنا، يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد لعمل الله في إعلانه عن ذاته (17:1، 18، 19:8، 38، 7:14، 9، 25:17). هنا أيضاً الفكرة ليست بمجديدة أو فريدة للقديس يوحنا، إنها ضمنه طوال العهد الجديد، و خصوصاً التصريح الواضح في عبرانيين

⁸⁵ 'The Old Testament in Hebrews', in Current Issues in N. T. Interpretation (ed. W. Klassen and G. F. Snyder), p. 58.

⁸⁶ لا يوجد كلمة في إنجيل يوحنا تُترجم إلى "وسيط"، على الرغم من ذلك ففكرة الوساطة ظاهرة طوال الإنجيل، أنظر H. Clavier, 'Mediation in the Fourth Gospel', Bull. SNTS, no. 1, Cambridge, 1950, pp. n-25.

⁸⁷ هل كان اهتمام بولس بالكوزمولوجي يرجع لحقيقة أنه كان يواجه التكهّنات حو "الرناسات و القوى، ... إلخ"، [هذه] التكهّنات لا تظهر في إنجيل يوحنا؟

⁸⁸ Lofthouse, The Father and the Son, p. 47

يذهب ليقول " من المحتمل أن بعضاً من اصدقائه و قراءه المُتوقعين قد إنجذبوا لمحاولة فيلو المبتكرة لمصالحة الفلسفة اليونانية في وقته بأسفار موسى الخمس Pentateuch، إذاً، يتضح أنه يقول "إذا كنت تريد أن تربط اللوغوس بإيمانك، من الممكن، لكن عندما تستخدم المصطلح، لاحظ ماذا تقصد به. من الممكن أن تراه في الفصل الأول لسفر التكوين، حيث البدء. فالله ينطق بالكلمة الخالقة و يُخلق العالم. لكن الأمر أكثر من ذلك. فهي وسيلة الحياة، إستنارة للبشر. فقط في هذه الأيام اصبحنا نعرفها. إنها ليست فكرة و لا قوة. إنها ظهرت في شخص بشري. بها تُمنح أن نكون اولاد الله، فلا فيلو و لا الرواقيين قالوا بذلك. فنحن نراها، بكل مجد السماء مثل الشاكيناه حولها، في يسوع المسيح، ابن الله. و بعد ذلك، اسمحوا لنا ألا نزيد حول [موضوع اللوغوس]، لتأمل مجد الابن.

1:1-2 و في أقوال المصدر Q "لا أحد يعرف الآب إلا الابن و إلا من كشف الابن له" (متى 27:11، لوقا 22:10)⁸⁹. فبالنسبة للقديس يوحنا، يسوع هو "نور العالم" (12:8)، "الطريق الحق للحياة" (6:14)، "الذي رأى" يسوع "رأى الآب" (9:14). فالفكرة أن يسوع هو إعلان الله الآب، أو أنه الذي من خلاله يكشف الآب ذاته، هو واضح طوال الانجيل، ف"بجد" الآب يُرى في كل ما يقوله و يفعله الابن.

3- فوق الكل، يسوع هو الوسيط لعمل الله في خلاص البشر و تبييتهم في عائلته (12:1). فيوحنا المعمدان يناديه على أنه "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (29:1)، السامريين ينادوه على أنه "مخلص العالم" (47:4)، فهو "الابن الوحيد" الذي من خلال حب الآب أعطى الله البشر "ألا يهلكوا بل أن تكون لهم حياة أبدية" (16:3)، أن "العالم يخلص من خلاله"، $\delta\iota' \alpha\upsilon\tau\omicron\upsilon\tau\omicron\upsilon$. فإعلان الآب عن ذاته من خلال الابن له غايته و هي أن البشر ينالوا الحياة الأبدية، أو الحياة في ملئها" (40:6، 10:10، 28، 3:17، 31:20)، فالخلاص يأتي من خلال الإيمان بابن الله (12:1، 16:3، 36ff:9، 38:17، 31:20). هذه الفكرة تتضح بصورة أوضح في الرسالة الأولى "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (7ff:1)، "فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، و هو كفارة ($\lambda\alpha\sigma\mu\acute{o}\varsigma$) لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (2-1:2)، " أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به " (10-9:4). مرة أخرى فالفكرة ليست بجديدة أو فريدة على الاطلاق بالنسبة للقديس يوحنا، و هذا جليّ في طوال العهد الجديد و هي في الواقع الفكرة المركزية لرسالته.

إذاً فبالنسبة للقديس يوحنا، إنه الله الواحد الذي يخلق، و يكشف و يُخلص، أبو يسوع المسيح، ابنه الوحيد، كلمته الذي صار جسداً. الآب يُكمل كل شيء ($\pi\acute{\alpha}\nu\tau\alpha \delta\iota' \alpha\upsilon\tau\omicron\upsilon\tau\omicron\upsilon \acute{\epsilon}\gamma\acute{\epsilon}\nu\epsilon\tau\omicron$, i. 3) من خلال الابن ($\delta\iota\acute{\alpha}$). يؤكد القديس يوحنا وساطة الابن في الخلق كي يزود الإطار الكوزمولوجي للإعلان الذاتي لله الآب و خلاص البشرية⁹⁰. مثل القديس بولس، يُركز القديس يوحنا إنتباهه على الخلاص الذي أتمه الله من خلال يسوع المسيح. و مثل القديس بولس، يبدأ القديس يوحنا من العمل الوساتطي في الخلاص (إعادة خلق الانسان و الكون) إلى العمل الوساتطي في الخلق الأساسي.⁹¹ فالذي في آخر الأيام أصبح وسيط إعلان الآب عن ذاته لخلاص العالم هو الذي كان في البدء مع الله و هو الوسيط في الخلق لكل شيء، الذي يجدد النظام المخلوق ليس آخر إلا الذي خلق منذ البدء.

هذا التركيز على الأوجه الثلاث لوساطة ابن الله هو ضروري هنا لأنه يلعب دوراً هاماً في تفسير انجيل يوحنا من قبل الكنيسة الاولى. فالمشكلة التي يعرضها انجيل يوحنا للكنيسة في القرون التالية هي المشكلة المعقدة المتعلقة بصياغة عقيدة خاصة بالله و شخص المسيح و التي تُبقي الاتزان الذي يتميز بمفارقة بين الوحدة الجوهرية للابن مع الله و التمايز بينهم، و الاتزان الذي يتميز بمفارقة بين إلهية و إنسانية المسيح، بينما في نفس الوقت تحافظ على المنظور السليم للأوجه الثلاث لطبيعة وساطة الابن. إلى حد كبير هذا التعقيد من الممكن أن يُقلل إلى السؤال حول الحفاظ على مفهوم اللوغوس في المنظور البيوحناوي.

⁸⁹ أنظر النقاش الشيق لجيريمياس Jeremias في (The Central Message of the N.T., pp. 23-5) الذي يدعمه ر.اي. براون R. E. Brown في (How much did Jesus Know?, CBQ, xxix (1967), 32) و هو أن القول الوارد في المصدر Q بيسوع "يرسم مثل أن الآب و الابن يعرفا بعضهما البعض بشكل وثيق، و أن الابن هو أفضل شخص ليكشف أعماق أفكار الآب" Brown على الرغم من أن هذا القول لا يكشف [يسوع] أعماق أفكار الآب لكن الآب ذاته.

⁹⁰ Cf. p. 20, n. 3 above; also A. E. J. Rawlinson, The J.V.T. Doctrine of the Christ, London, 1929, pp. 209 ff. ⁹¹ أنظر S.Hanson, The Unity of the Church in the N.T., Uppsala, 1946, pp. 109 ff., نقاش حول علاقة الكوزمولوجي و الخلاص (السوتيرولوجي) عند بولس